



مركز البحوث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقرير نمف الشهري

تحليل للتطورات السياسية
والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com



**مركز الدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية**

تحليل نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

- ١ . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- ٢ . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- ٣ . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- ٤ . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

العلاقات الإسرائيلية الروسية في الساحة السورية

١ - مدخل:

تحضر علاقات روسيا بـ"إسرائيل" في معادلات الشرق الأوسط الصعبة بشكل دائم، ومنذ عام ١٩٤٧ اتخذ الاتحاد السوفياتي قراراً بدعم خطة تقسيم فلسطين، بهدف مواجهة الخطة البريطانية. واعتمدت القيادة السوفياتية حينذاك على علاقات الصداقة التي تربطها بقيادة "إسرائيل" التي كان يتزعمها قادة اشتراكيون. واعترف الاتحاد السوفياتي بـ"إسرائيل" مباشرة بعد إعلانها دولة، وأقام معها علاقات دبلوماسية. إلا أن "إسرائيل" لم تنتهج سياسة موالية للاتحاد السوفياتي، وبدأت بالتوجه إلى تمكين علاقاتها مع الغرب، ومن ثمّ، مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعندئذ صار الاتحاد السوفياتي يدعم الدول العربية المعادية لـ"إسرائيل". وفي عام ١٩٦٧، وفي أعقاب حرب الأيام الستة، قطع الاتحاد السوفياتي علاقاته بالكيان الغاصب. واستُعيدت العلاقات عام ١٩٩١.

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي شهدت العلاقات الروسية الإسرائيلية نهوضاً واضحاً بعد الحقبة السوفياتية، وتلخّص صعود هذه العلاقات بنقاط عدّة:

- تقديم أوراق اعتماد السفيرين في ٢٥ كانون الأول ١٩٩١، بعد أسبوعين فقط من انهيار الاتحاد السوفياتي. وافتتاح سفارة روسية في تل أبيب، وقنصلية في مدينة حيفا، وسفارة إسرائيلية في موسكو.

- بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، اعترفت "إسرائيل" بالدول التي كانت ضمن الاتحاد السوفياتي، وأقامت علاقات دبلوماسية معها. وكانت روسيا الاتحادية أكثر الدول أهمية، وحلت محل الاتحاد السوفياتي عضواً دائماً في مجلس الأمن.

- كانت "إسرائيل" لسنوات طويلة، مقصداً للمهاجرين اليهود من روسيا وغيرها من الدول ما بعد الاتحاد السوفياتي. ومنذ الثمانينيات تشكلت فيها أقلية يهودية كبيرة من أصول روسية. ويعيش في "إسرائيل" حالياً حوالي مليون مواطن سوفياتي سابق، من الروس معظمهم.

- في عام ٢٠٠٥، زار الرئيس فلاديمير بوتين القدس زيارة رسمية، وقدم في زيارته تمثالاً لذكرى اليهود الذين قضاوا في الهولوكوست.

- في تشرين الأول ٢٠٠٦، احتُفل بمرور ١٥ عاماً على إقامة العلاقات الروسية-الإسرائيلية. وفي عام ٢٠٠٨، وقع البلدان اتفاقاً ألغى بموجبه نظام التأشيرة (الفيزا) بينهما.

- عام ٢٠١٢، حضر الرئيس الروسي بوتين إلى "إسرائيل" بمناسبة افتتاح نصب لجنود الجيش الأحمر في مدينة ناتانيا. وأقيم النصب من الأموال التي جمعها رجال الأعمال اليهود الروس.
- عام ٢٠١٤، بادرت الحكومة الروسية إلى عقد مفاوضات نتج منها مذكرة تفاهم لإقامة خط مباشر "مشفر" بين فلاديمير بوتين، ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.
- بين عامي ٢٠٠١ و٢٠١٦، زار رؤساء الوزراء الإسرائيليون موسكو زيارات متكررة، ما يشير إلى مستوى العلاقات بين الجانبين من خلال تكرار زيارات مسؤولين إسرائيليين إلى روسيا. فقد زار رؤساء الوزراء الإسرائيليون روسيا ١٣ مرة منذ عام ٢٠٠٠، وكان نصيب بنيامين نتنياهو ٧ زيارات منها. وكان الموضوعان السوري والإيراني محوري تلك اللقاءات. وكانت مباحثات رئيسي الوزراء الأسبقين أرييل شارون، ويهود أولمرت تتمحور حول حل الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، والبرنامج النووي الإيراني.
- بعد تفكك الاتحاد السوفياتي بادرت موسكو إلى تعزيز مواقعها ونفوذها في الساحة العالمية، ومن ضمنها منطقة الشرق الأوسط. ولتحقيق هذا الهدف كان عليها أن تأخذ موقفًا موضوعيًا من الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، وأن تصبح شريكًا استراتيجيًا للولايات المتحدة في البحث عن حل لتسوية الصراع. وفي هذا الإطار عام ٢٠٠١، تألفت رابعية الشرق الأوسط - بمبادرة من رئيس الوزراء الإسباني خوسيه ماريّا أزنانر - من أربعة أطراف هي: الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة، وسمي طوني بليز مفوضًا عامًا لها .
- أبدت روسيا اهتمامها بالتجربة الإسرائيلية المتراكمة في حربها ضد التنظيمات الإسلامية الإرهابية، واعتمدت قوى الأمن الشيشانية التجربة الإسرائيلية في حربها على الإرهاب. وفي عام ٢٠٠٠ زار عضو الكنيست ناتان شارانسكي روسيا، وعبر عن دعم المنظمات الحكومية الإسرائيلية لروسيا ضد المتطرفين الشيشان، وبذلك فإن "إسرائيل" كانت واحدة من دول الغرب القليلة التي عبرت عن دعمها لروسيا في هذا المجال.
- في ٦ أيلول عام ٢٠١٠، وأثناء زيارة وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق إيهود باراك إلى روسيا؛ تم توقيع أول اتفاق تعاون عسكري بين الجانبين، وأكد وزير الدفاع الروسي حينذاك أنّ روسيا اشترت ١٢ طائرة مسيرة من شركة Israel Aerospace Industries الإسرائيلية بقيمة ٥٣ مليون دولار. ووقع لاحقًا اتفاق لشراء ٣٦ طائرة من دون طيار بقيمة ١٠٠ مليون دولار. في ٢٠١٠، ووقع اتفاق لإنشاء مصنع لتجميع طائرات من دون طيار من طراز Mk II و Bird-Eye 400 في مدينة كاترين بيرغ. وفي ٢٠١١، تلقى المصنع

طلّبات من وزارة الدفاع الروسية بقيمة ١,٣ مليار روبل. وفي ٢٠١٦، صرّح وزير الدفاع الروسي يوري بوريسوف، بخطط لشراء ٣ مصانع تجميع بين ٥ أعوام و ١٠ أعوام.

- في عام ٢٠١٠، وقّعت روسيا وإسرائيل اتفاقًا للتعاون في مجال الفضاء، واستخدام المجال الفضائي للأغراض السلمية. وخلال المدة من ١٩٩٥ إلى ٢٠١٤، وضعت الصواريخ الروسية ٩ أقمارًا صناعية إسرائيلية على المدار الأرضي.

- تعدّ "إسرائيل" وجهة سياحية مهمة للسياح الروس. وفي ٢٠١٤، قصد حوالي ١,٨٢٩ مليون سائح روسي إسرائيل للاستجمام.

٢ - لماذا تتعاون روسيا وإسرائيل في سورية؟

تحت هذا العنوان في الواشنطن بوست يتطرّق الصحافي صموئيل راماني المتخصّص في السياسة الروسية، إلى الأسباب الكامنة، في رأيه، للتقارب الروسي - الإسرائيلي في سورية. ويتوصّل إلى أسباب ثلاثة رئيسة تدفع بالبلدين إلى التعاون في المسألة السورية:

يرى نتنهاو أن في مقدور روسيا تخفيف التهديد الذي يمثله الرئيس الأسد وحلفاؤه الإيرانيون وحزب الله. وتتوافق "إسرائيل" وروسيا في مسألة الحاجة إلى الأسد، للمحافظة على الاستقرار في سورية. فعلى الرغم من أن "إسرائيل" لم تعبّر علنًا عن دعمها للأسد، فإن توجهاتها السياسيّة الأخيرة تُظهر مخاوف إسرائيلية من تعقيدات وصول الإرهابيين المعارضين إلى السلطة في سورية. وكان التقارب الروسي - الإسرائيلي حول المسألة السورية عملية تدريجية؛ ففي البداية رأى صنّاع القرار الإسرائيليون أنّ سقوط الأسد أمر محتوم؛ لذا نأووا بأنفسهم بعيدًا عن النزاع، تجنّبًا للدخول في صراع مفتوح مع سورية ما بعد الأسد. ومن ناحية أخرى، قدمت "إسرائيل" العون لبعض الفصائل المعارضة في صراعها مع داعش والنصرة، منعا لوصول الأخيرة إلى حدودها، وبهدف حماية الأقلية الدرزية من العنف الطائفي. وعلى غير المتوقع بقي الرئيس الأسد في السلطة وتزايد وجود داعش، ما دفع نتنهاو في السنتين الأخيرتين، إلى تغيير مقاربتة في الموضوع السوري في اتجاه تحالف أقوى مع روسيا. وعلى الرغم من استمرار "إسرائيل" في استهداف قوافل الأسلحة المتّجهة إلى حزب الله في لبنان، فإنها اتّفتت مع الروس على الخطوط التي يمكنها أن تتدخّل عندها. استرضاءً لبوتين؛ رفضت "إسرائيل" الاعتراف باستقلال كوسوفو، وقلّصت تعاونها العسكري مع جورجيا الذي بدأت بعد الغزو الروسي لأوسيتيا الجنوبية عام ٢٠٠٨، ولم تُدن ضمّ روسيا شبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤.

في المقابل، كافي بوتين "إسرائيل" بتعميق التعاون الاقتصادي والأمني في وقت تضايق الدول الغربية "إسرائيل"، بسبب احتلالها الأراضي الفلسطينية، وفي وقت تقوم فيه منظمات المجتمع المدني الغربية بمقاطعة البضائع الإسرائيلية.

يريد نتنياهو أن يكون الوجود العسكري الروسي في سورية محدودًا، لأطول مدة ممكنة. ففي بداية الأمر لم يكن كثيرًا من القادة الإسرائيليين متيقنين في ما إذا كان التدخل الروسي العسكري بناءً لحل الصراع، وما إذا كان سيحسن العلاقات الروسية-الإسرائيلية. ولكن القادة أنفسهم راحوا يتساءلون عن النتائج السلبية لسحب القوات الروسية.

دعا الرئيس الإسرائيلي رؤوفن ريفلين إلى الحوار مع موسكو، لاحتواء التهديد الإيراني الذي عدّه مماثلًا لتهديد داعش، ما يعكس المخاوف الإسرائيلية، ويظهر أن "إسرائيل" تنظر إلى الوجود الروسي بوصفه ضرورة لأمن المنطقة. وردًا على النداء الإسرائيلي، أبلغت موسكو رئيس الأركان الإسرائيلي أن موسكو ستبني قاعدتين بحريتين عسكريتين في سورية، لضمان عدم حصول تدخل إيراني قاتل فيها. وتوافقت هذه التأكيدات الروسية مع اعتقاد موسكو الراسخ بأن الانسحاب التام من الشرق الأوسط، كما فعلت إدارة أوباما، سيتسبب في اضطراب في المنطقة، وسيساعد في تعزيز التطرف الإسلامي. وباختصار، فإن التعاون الأمني المتزايد بين "إسرائيل" وروسيا تحركه رغبة مشتركة في تجميد الصراع، ومحاربة الإسلام المتطرف، واستتباب عدوانية إيران وحلفائها. وتتجلى أهم مظاهر التنسيق في سورية بين روسيا و"إسرائيل" -في رأي الخبراء- بنجاحهما في تجنب الحوادث في المجال الجوي السوري. يقول أحد الخبراء: "يتواصل خبراء البلدين العسكريين والاستخباريين، في صورة متواصلة في ما بينهم، لتجنب وقوع حوادث على غرار ما حدث بين تركيا وروسيا". ويضيف: "الطيران الإسرائيلي يجري طلعات مستمرة في الأجواء السورية بهدف الحيلولة دون نقل الأسلحة الحديثة من إيران إلى حزب الله اللبناني الذي يعدّ -كما تعدّ إيران- إسرائيل مصدرًا للخطر الحقيقي عليهما. ومن جانب آخر، فإن الطائرات الروسية المشاركة في العملية السورية، غالبًا ما تجد نفسها في الأجواء الإسرائيلية. ويجري كل ذلك بتنسيق مشترك على المستويات كافة، بما فيها على أعلى المستويات"، بحسب الخبيرة نوسينكو، ويضيف الخبير ساتانوفسكي بدوره: "عندما تخترق طائراتنا جزءًا من المجال الإسرائيلي فإنه لا يخطر في بال أحد إسقاطها".

من ناحية أخرى ترى الصحافيّة "آنّا بورشتيفسكايا" من معهد واشنطن، أنه على الرغم من تصريح بوتين "نحن راضون عن شراكتنا البناءة مع إسرائيل. وأن العلاقات بين الدولتين قد وصلت إلى مستوى عالٍ". فإنه في الواقع، سعى إلى تحسين العلاقات مع "إسرائيل" منذ تبوئه السلطة في آذار عام ٢٠٠٠. وتقول إن تعقيدات

قائمة بين البلدين. فبوتين يريد أن يبدو لاعباً أساسياً في أنحاء الشرق الأوسط جميعها، بينما تريد "إسرائيل" الاضطلاع بدور مهم في المنطقة. غير أن سياسة بوتين الإقليمية تنطلق أساساً من معاداة الغرب في لعبة محصلتها (صفر) لتجعل من روسيا ثقلاً مضاداً للغرب في المنطقة، ولتقسيم المؤسسات الغربية وإضعافها على نطاق أوسع. أمّا "إسرائيل" -بخلاف روسيا- فهي، كما تزعم، ديمقراطية مؤيدة للغرب. وتجدر الإشارة إلى أن عدوانية موسكو المتنامية في ما كان يُعرف سابقاً بالاتحاد السوفياتي، وخصوصاً في أوكرانيا، ونفوذها المتعظم في الشرق الأوسط في سياق الانسحاب الغربي من المنطقة، يعقدان العلاقات الروسية-الإسرائيلية. عند استلامه زمام السلطة في آذار ٢٠٠٠، سعى بوتين لإعادة روسيا لاعباً بارزاً إلى الشرق الأوسط، وعمل مع الأطراف جميعها في المنطقة، سواء أكانوا أصدقاء أم خصوماً تقليديين. وقد جعل سياسته تركز على تعريفه الخاص للمصالح الروسية، انطلاقاً من وجهة نظر واقعية بحتة. وتضمنت هذه السياسة تحسين العلاقات مع "إسرائيل" في إثر تدهورها في أواخر التسعينيات في عهد وزير الخارجية ورئيس الوزراء آنذاك يفغيني بريماكوف. وكتب البروفسور مارك كاتز في دورية "الشرق الأوسط الفصلية" في شتاء عام ٢٠٠٥: "لا يسعى بوتين لإرضاء واشنطن ولا لتلبية أي ضرورات سياسية محلية، بل إن سياسة موسكو الجديدة في الشرق الأوسط تنتج عن حسابات بوتين الشخصية للمصالح الروسية، وهي حسابات لا تلقى تأييداً كبيراً في حكومته".

ثمة عوامل عدّة دفعت سياسة بوتين باتجاه "إسرائيل"، خصوصاً في سنوات حكمه الأولى، ومن بين هذه العوامل الصراع مع جمهورية الشيشان المنشقة شمالي القوقاز، وهو صراع بدأ في أوائل التسعينيات، وكانت حركة انفصالية علمانية أصبحت ذات طبيعة إسلامية متطرفة في صورة متزايدة، ويُعزى ذلك بقدر كبير إلى سياسات موسكو الصارمة، وانتهاكاتها الفاضحة لحقوق الإنسان. وقد شبّه بوتين صراع روسيا ضد الإرهاب بصراع "إسرائيل" ضدّه !! وبمرّ السنين، أجرى هذه المقارنة ذاتها في اجتماعاته بعدد من المسؤولين الإسرائيليين رفيعي المستوى. ووفقاً لوكالة «تي أس جي إنتل بريف TSG Intel Brief»، ففي تشرين الثاني ٢٠٠٣، وصف رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرييل شارون الذي يجيد اللغة الروسية، وأسس علاقة شخصية وطيدة مع بوتين، الرئيس الروسي بـ «الصديق الفعلي لإسرائيل». وكانت "إسرائيل" من بين الدول القليلة التي لم تنتقد بوتين بعد الإجراءات التي اتخذها في الشيشان.

ثمة محرّك آخر لسياسة بوتين تجاه "إسرائيل"، وهو تشديده على تحسين علاقات اقتصادية مع دول الشرق الأوسط. من هنا، سعى إلى إقامة علاقات تجارية مع "إسرائيل"، بمثل تجارة التكنولوجيا العالية في مجالات تتضمن تقنية النانو.

وأخيراً، سعى بوتين إلى إشراك روسيا في عملية السلام في الشرق الأوسط، على أمل أن تحلّ محلّ الغرب، وتبدو ببساطة لاعباً مهماً. وفي الواقع، في عهد بوتين، أصبحت روسيا أكثر حزمًا، وسعت إلى طبع بصماتها في عملية السلام منذ انضمامها إلى «اللجنة الرباعية الدولية».

إن انخراط روسيا مؤخرًا في سورية في عقب الاتفاق الإيراني عقّد في الأرجح الوضع بالنسبة إلى "إسرائيل"، ففي عام ٢٠١٠، وفي إثر ضغوط من الغرب و"إسرائيل"، جمّدت موسكو عقداً بقيمة ٨٠٠ مليون دولار مع إيران لبيع نظام الدفاع الجوي (إس-٣٠٠) الذي يمكن أن يساعد في إسقاط الطائرات الحربية الأميركية أو الإسرائيلية، في حال تعرّض المنشآت النووية الإيرانية لضربة جوية، ولكنها لم تلغ هذا العقد. وفي المقابل، امتنعت "إسرائيل" عن انتقاد تصرفات موسكو في الدول القريبة من روسيا. على سبيل المثال، أبتت "إسرائيل" علناً على موقفها المحايد من الأزمة الأوكرانية، ولم تبع أسلحة لكييف. وخلاصة القول، إن "إسرائيل" ما زالت تعدّ روسيا لاعباً مهماً في الشرق الأوسط، ولا يرغب أي من الطرفين في إحداث أزمة ثنائية خطيرة. وفي هذا السياق، يطرح الانسحاب الغربي من الشرق الأوسط مشكلة بارزة لـ "إسرائيل"، إذ إنه يقلّل من خياراتها. وفي الواقع، وفي سياق علاقات نتياهو المتوترة بالرئيس أوباما، رأى رئيس الوزراء الإسرائيلي ضرورة كبرى بتهيئة تفاهم أفضل مع بوتين، لكي يُقلّص احتمال وقوع اشتباكات عسكرية عرضية في سورية، وتحسين التفاهم المشترك على نطاق أوسع من أجل المحافظة على العلاقات المتوازنة. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ مقارنة الجانبين للموضوع السوري متباينة بينهما: فـ «لدينا مقاربات متباينة حول سورية»، بحسب ما يفترض الخبير ساتانوفسكي، ويضيف: «بالنسبة إلينا، سورية هي شريك بعيد عن أراضينا، وعلاقاتنا معها ليست بالسهلة، ولكنّ روسيا كانت على مدى عقود تدعمها، واليوم تؤمّن لها المحافظة على ما تبقى من الدولة. أما بالنسبة إلى "إسرائيل"؛ فسورية دولة جارة، خاضت ضدها حرباً عدّة، واحتلت أراضي تابعة لها، ينظر إليها الإسرائيليون بصفتها منصّة لإطلاق الصواريخ من أراضي الجولان التي ضمّتها إسرائيل إليها».

ويقول الخبير: «كلما زاد ارتباط سورية بإيران، زاد التهديد الذي يمكن أن تتعرض له إسرائيل انطلاقاً من سورية». يتابع: «لا تمنع إسرائيل من بقاء نظام الأسد، فهذا أمرٌ لا يخصّها في النهاية، ولا تتدخل إسرائيل في الحرب الأهلية السورية». أما بالنسبة إلى الدولة الإسلامية -المحظورة في روسيا- فلا تبدو مشكلة لـ "إسرائيل"، لأنها لم تتعرّض لأيّ هجوم من جانبها حتى الآن. و"إسرائيل" لا تعدّ داعش خطراً عسكرياً مباشراً، فداعش -بالنسبة إليها- عدوّ أضعف كثيراً من الجيوش النظامية في الدول المجاورة.

تعدّ "إسرائيل" التدخّل من جانب «حزب الله» وقتاله إلى جانب الرئيس الأسد في سورية مسألة بالغة الأهمية، بحسب مارياسيس. ويهدف تدخّل "إسرائيل" في سورية إلى تدمير قوافل الأسلحة المتوجّهة إلى حزب

الله. وبحسب الدلائل كلّها، فإنّ روسيا لا تتدخل في هذا الأمر. يضيف الخبير توسينكو: «تمكّنت إسرائيل خلال العقود الماضية أن تحقق مع الأسد، -إن لم يكن السلم، فأرساء اتفاق ضمّنيّ على عدم خرق الوضع الناشئ على الحدود بينهما. وفي ما يتعلق بمصير سورية المقبل، يعدّ الإسرائيليون أنه ليس من الضروري التّدخل في مخططات ترتيب هذه المنطقة، سواء بقيت سورية تحت حكم الأسد أم تم تقسيمها- وبالنسبة إلى إسرائيل سيبقى هذا الأمر ثانويًا». وكتب «جون كوهين» معلق وكالة رويترز عن العلاقات الروسية الإسرائيلية: «مع صعود بوتين، وجدت إسرائيل صديقًا مقربًا في موسكو لم تحظّ به على الإطلاق من قبل، ووجد البلدان مصالح مشتركة في محاربة الإرهاب. وفي ٢٠١٤، كان بوتين واحدًا من بضعة زعماء وقفوا داعمين لإسرائيل في مواجهتها مع حركة حماس الفلسطينية، حيث قال بوتين: "أنا أدمع إسرائيل في معركتها للمحافظة على حياة مواطنيها". وفي ٢٠٠٥، كان بوتين الرئيس الروسي الأول الذي يزور "إسرائيل"، ويقف دقيقة صمت عند الجدار الشرقي - أكثر الأماكن المقدسة عند الإسرائيليين - الذي يعدّ رمزًا للهولوكوست. ويقال إنّه اشترى منزلًا في تل أبيب لمعلمه الألماني اليهودي ذي الـ ٨٤ سنة. عاد بوتين إلى "إسرائيل" ثانية في ٢٠١٢ ضيف شرف لإحياء ذكرى الجنود السوفييتيين اليهود الذين قهروا هتلر في الحرب العالمية الثانية. على الرغم من أن "إسرائيل" أعلنت أنّها لا تتدخل في الحرب السورية، إلّا أنّها رسمت «خطوطًا حمراء» لمنع نقل السلاح المتقدّم من إيران إلى عدوها «حزب الله» اللبناني. ومن ثمّ، فإنّ نشر روسيا أنظمة الدفاع الجوي المتقدمة في سورية يشكل مصدر قلق لها. إذ يبلغ قطر فاعلية صواريخ إس ٤٠٠ حوالي ٢٥٠ ميلًا قادرة على استهداف ٣٦ طائرة في الآن ذاته. هذه الصواريخ قد تسهم في قلب قواعد اللعبة في المنطقة. وذهب الأمر بأحد المسؤولين الإسرائيليين الكبار إلى القول بأنّه «كابوس». وفي حال تردّي العلاقات الروسية - الإسرائيلية جدّيًا، فإنّ صواريخ إس ٤٠٠ قد تعقّد الأمر في وجه إسرائيل بصورة ملموسة، في مساعيها للتصدّي لشحنات الأسلحة الإيرانية إلى حزب الله. ولهذا -تحديدًا- تريد "إسرائيل" من روسيا ضمانات مؤكدة بأن هذه الصواريخ لن تعيق حرية الطائرات الإسرائيلية في المجال الجويّ السوري. وبنتيجة القلق الإسرائيلي، والرغبة المشتركة في تجنّب وقوع حوادث غير مرغوبة مع القوات الروسية، توجّه نتنياهو بزيارات عدّة إلى موسكو للقاء بوتين، بعد أن اتّضح جليًا عمق الالتزام الروسي تجاه سورية. وفي عقب اللقاء صرّح نتنياهو بأنه يؤمن بتفهم بوتين للخطوط الإسرائيلية الحمراء تجاه حزب الله. يتعلّق القلق الإسرائيلي الآخر بـ ٢٠٠ ألف يهودي روسي ظلّوا في روسيا. وبالطبع، لا تخفى مشاعر بوتين تجاه اليهود الروس؛ فعلى الصعيد الداخلي يعدّ بوتين كثيرًا من رجال الأعمال والمسؤولين اليهود أصدقاء له، ويقر بالتأثير الإيجابي لليهود فيه في أثناء طفولته. ويساند بوتين إنشاء المتحف اليهودي في مركز مدينة موسكو، حتى إنّه تبرّع بماله الخاص لهذا

الغرض، معربًا عن «معارضته الشرسة لأي مظاهر مناهضة للسامية»، ويعمل على إصدار قانون للمحاسبة على التحريض ضد السامية. وعلى صعيد الأزمة الأوكرانية، تحرص تل أبيب على تجنب الاصطفاف مع بوتين. وبعد ضمّ روسيا شبه جزيرة القرم امتنعت إسرائيل عن التصويت على قرار الأمم المتحدة الذي يدين خطوة موسكو، وفسره المتحدث الرسمي للأمم المتحدة بأنه يعني التصويت ضد القرار. وبتعزيز وجود الدب الروسي في الحدود الشمالية لإسرائيل يتوقع من القادة الإسرائيليين الاستمرار في إظهار الاهتمام الكبير برجل الكرملين.

في حقيقة الأمر، إن الرئيس بوتين ورئيس الوزراء الإسرائيلي سيران على حبل مشدود من المصالح المشتركة والمتضاربة في المنطقة وتجاه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي؛ ففي سورية، يأتي التحالف الروسي مع إيران وحزب الله متعارضًا مع مصالح «إسرائيل». وفي وقت يسهل فيه تمييز الاختلافات بين المصالح الروسية والإيرانية على هذه الساحة، فإن أهدافهما المشتركة الأساسية تبقى متطابقة؛ إذ تبحث كلٌّ من الدولتين في تعزيز تأثيرها في سورية ولبنان، في حين تتكران على الولايات المتحدة وحلفائها أي دور في سورية ما بعد الصراع. ومن وجهة النظر الإسرائيلية فإن دور إيران الحالي في سورية، يشكّل مصدر قلق إسرائيلي حادّ، بينما ترى أن الدور الروسي سيكون مفيدًا. يرى أن روسيا سيكون لها تأثير أكبر في لاعبين إقليميين -إيران وحزب الله وبعض اللاعبين الذين ليس لهم دولة- أكبر من دور الولايات المتحدة وحلفائها أو أي لاعب خارجي آخر. ويرى بعض المراقبين في «إسرائيل» أن روسيا هي عامل معتدل في هذا المعنى.

من الوجهة العملية، ترى «إسرائيل» أن الوجود العسكري الروسي يعد عاملاً معقدًا في الوضع المعقد أصلًا، نظرًا للقدرات الروسية في جمع المعلومات الاستخباريّة، وعدم اكتراثها بقواعد الاشتباك، وتبين ذلك بعد حادث الطائفة على الحدود التركية- السورية في تشرين الثاني ٢٠١٥، وكذلك إمكان قيام روسيا باختراق المجال الجويّ الإسرائيلي. إضافة إلى ذلك، فإنّه من الواضح أنّه سيكون في إمكان حزب الله، بعد انتهاء القتال في سورية أن يوجّه انتباهه إلى الحدود اللبنانية- الإسرائيلية، ما يدعو إلى توقع ارتفاع التوتر على حدود إسرائيل في الشمال. ومن الطبيعي أن يكون لنوع العلاقات التي أُرسيت بين روسيا وحزب الله منذ ٥ سنوات دورًا في موقف روسيا من أي اشتباك يحصل مستقبلاً بين إسرائيل والحزب. ويعدّ جيش الدفاع الإسرائيلي حزب الله، المزوّد بأحدث أنواع الصواريخ الروسية الذي يتمتع بكمية من المعلومات الاستخباراتيّة المهمّة؛ العدوّ الأول لإسرائيل. وفي «إسرائيل»، بعد مرور ١٠ سنوات على الحرب الأخيرة يرون أن الحرب الثالثة قادمة بالتأكيد. وأنّ القوة الخارجية الوحيدة التي تستطيع منع هذه الحرب هي روسيا.

بالتالي إذا نظرنا إلى المصالح الروسية- الإسرائيلية في المنطقة -بصورة أبعد وبمنظور أشمل- يبدو المثل الإسرائيلي القديم «أحترمه، ولكنني أحذر منه» الذي كان في أساس الموقف الإسرائيلي من روسيا؛ ما زال صالحاً، وسيبقى في المستقبل دليل "إسرائيل" في علاقتها مع روسيا. وهذا يشبه مقولة ريغان التي عمل بها باراك أوباما، وتقول «لا تثق، بل تأكد». والفرق في الحالين -طبعاً- أن الأمر يتعلق بدولة إقليمية هي إسرائيل، ودولة عظمى هي روسيا. لدى إسرائيل قدرة كبيرة على عدم الثقة، ولكن إمكانياتها للاختبار محدودة جداً.

٣ - سياسة روسيا السورية في نظر الاسرائيليين:

يقول العديد من المعلقين الإسرائيليين، إن روسيا تدلّ مرة بعد أخرى على حرصها على تأمين خارطة المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية في سوريا. وتعليقاً على الغارات التي استهدفت مرارا قوافل تحمل إرساليات سلاح تتّجه من دمشق إلى لبنان، ونُسبت لـ "إسرائيل"، قال يوسي ميلمان، معلق الشؤون الاستخبارية في صحيفة "معاريف"، إن صمت روسيا على شن الغارات التي طالت أهدافاً لـ "حزب الله"، تدلّ على أن الروس "لن يحركوا ساكناً من أجل الحيلولة دون مسّ إسرائيل بحلفاء النظام السوري وعلى رأسهم حزب الله". ونوّه ميلمان في مقال نشره موقع "معاريف" إثر الحادثة إلى أن "الحرج الذي أصاب النظام السوري وحزب الله قلّص من الاهتمام الإعلامي السوري واللبناني بتغطية الغارات ونتائجها". وشدّد ميلمان على أن "إسرائيل" هدفت من شن الغارة إلى التأكيد على أن تعزيز التواجد العسكري الروسي في سوريا لن يؤثر على تمتّعها بهامش حرية مفتوح، والقيام بكل ما تراه مناسباً في سوريا. وفي السياق، كشفت قناة التلفزة الإسرائيلية الثانية، عن أن منظومات الدفاع الجوي وأجهزة الإنذار المبكر التي تحتفظ بها روسيا في سوريا تجعلها قادرة على رصد تحركات الطيران الإسرائيلي في كل بقعة من "إسرائيل" وتتبع تحركات الطائرات الإسرائيلية حتى قبل إقلاعها. ولفتت القناة إلى أن الروس كان بإمكانهم منع الغارات الإسرائيلية، من خلال نقل أنباء تحركات الطائرات الإسرائيلية لحزب الله والنظام السوري، إلا أنّها لم تفعل ذلك.

من ناحية أخرى، اعتبر أمير بوحبوط، المعلق العسكري في موقع "واللا" الاستخباري، أن الصمت الروسي على ضرب أهداف حزب الله يمثل "موافقة ضمنيّة" روسية على استهداف الحزب في سوريا، على الرغم من دوره في الجهود الهادفة لضمان بقاء النظام السوري. وفي تحليل نشره الموقع في وقت سابق، نوّه بوحبوط إلى أن إتاحة موسكو المجال أمام "إسرائيل" لمواصلة ضرب أهداف حزب الله يدلّ على أن هناك

حدودا تقيّد تحالفها مع إيران، وأنها غير مستعدة لتهديد علاقاتها مع تل أبيب من أجل تأمين بقاء هذا التحالف.

ولفت بوحبوط الأنظار إلى أنه لو توفرت لدى بوتين النية "لتغيير أصول اللعبة أمام إسرائيل في سوريا، لسارع الكرملين إلى إصدار بيان حول ذلك، كما فعل عدة مرات بعد تأزم العلاقات الروسية التركية في أعقاب إسقاط الطائرة الروسية". وفي السياق، قال الدكتور شأوول شاي، رئيس قسم الأبحاث في "مركز هرتسليا متعدد الاتجاهات"، إن إسرائيل أوضحت لروسيا مجددا أنها لن تتراجع عن "الخطوط الحمر" التي تضمن مصالحها في سوريا. وفي مقال نشرته صحيفة "إسرائيل هيوم" رأى شاي أن الاستراتيجية التي تتبعها "إسرائيل" في سوريا "تقوم على مراكمة الردع في مواجهة كل الأطراف، من خلال توجيه ضربات قوية لكل من يهدد مصالحها، وفي الوقت ذاته تجنب الانجرار للمواجهات الدائرة بين الأطراف".

أما الخبير العسكري في صحيفة "يديعوت احرونوت"، إلكيس فيشمان، فكشف معلومة أخرى بالقول "في أحاديث غير رسمية مع جهات ترتبط بجهاز الأمن الروسي يسألون: ما الذي تتوقعونه في واقع الأمر كردّ روسي علني ومباشر؟ إذا قلنا إن إسرائيل نسّقت الهجوم معنا، سيتعين علينا أن نقدم الشروحات لحلفائنا في حزب الله؛ وإذا قلنا إنكم لم تنسقوا، فستكون لدينا مشكلة في أن نشرح كيف تعمل إسرائيل على الأراضي السورية دون أن نطلعنا". ونشرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية مقالا لمراسلها أنشيل فيفير، تحدّث فيه عما أسماه مُعضلة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين السوريّة، والحيرة حول الدعم، لإيران أم "إسرائيل"؟ ولفت الكاتب إلى أنّ بوتين يعتقد أنّه بإمكانه النجاح في سوريا، حيثُ فشل الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما.

وظنّ بأنّه قادر على إحلال السلام في سوريا، وإنقاذ النظام السوري وعلى رأسه الرئيس بشار الأسد، وتحقيق التوازن بين مصالح إيران و"إسرائيل" في سوريا التي أنهكتها الحرب. وأضاف: "إنّ كلّ الأهداف التي حقّقها بوتين في سوريا ترافقت مع نشر عدد من المقاتلات من سلاح الجو الروسي وحوالي ألفين من قواته في سوريا. وفي حملة مماثلة، كانت الولايات المتحدة ستستخدم قوة مضاعفة بـ ١٠ مرّات، عبر إرسال مئات المقاتلات وغيرها من الأسلحة المتقدّمة الى سوريا، خصوصا وأنّها لم تكن تنوي إرسال قوات على الأرض".

ورأى الكاتب أنّ الرئيس الروسي استطاع تحقيق هذه الأهداف بفضل الدعم من إيران، حيثُ ورّعت عشرات آلاف المقاتلين، ومعظمهم من اللاجئين الأفغان في سوريا، إضافةً الى مقاتلي "حزب الله" الذين قدموا من لبنان الى سوريا لتنفيذ عمليات صعبة، ومن جانبها استخدمت روسيا قوات خاصّة. وقال الكاتب إنّ الروس قاموا باستثمار ضئيل نسبياً في سوريا، ولم يسقط لهم الكثير من الضحايا، كما كان متوقّعا منذ عامين، إذ أرجع البعض ما يحدث الى أنّه يشبه حقبة الإحتلال السوفياتي لأفغانستان. وفي التوقيت المناسب،

ومستفيداً من الفوضى التي خلفها أوباما نتيجة قراره عدم الإنخراط المباشر في الحرب السورية، أعاد بوتين روسيا الى الخارطة الجيوسياسية، كما قام بزيارة مفاجئة في كانون الأول من العام الماضي لسوريا، للإعلان عن أنّ "المهمة انتهت".

وذكر الكاتب بمؤتمر الحوار الوطني الذي عُقد في سوتشي والذي لم يصل إلى نتيجة، على الرغم من محاولات الوصول إلى اتفاق على عملية سياسية لحلّ الأزمة السورية تحت حكم الرئيس بشار الأسد. ومن أبرز ما يقلق موسكو هو أن تسيطر قوة كردية في شرق سوريا على مناطق كانت بقبضة تنظيم "داعش". ف قوات سوريا الديمقراطية تعدّ اللاعب الوحيد في سوريا، بدعم عسكري أميركي، وخلال اشتباك اندلع بين هذه القوات، وقوات الجيش السوري العاملة مع الروس، أقدمت الولايات المتحدة على شنّ غارة مدمرة على الروس، أدت الى مقتل ٢٠٠ منهم، وفقاً لتقديرات تقارير غير رسمية، ومن بعدها وقعت أول مواجهة مباشرة ما بين إيران و"إسرائيل".

وأكد الكاتب أنّ بوتين لا يكثر كثيراً للجهة التركية، لأنها لا تهدد المصالح الروسية بشكل مباشر، أمّا الإشتباكات في الجبهة الشمالية فتشكّل مشكلة كبيرة له، فيما يجري إرسال الروس في نعوش الى روسيا، وهو الأمر الذي لا يريده بوتين أن يحصل .

وعن الجبهة الإيرانية - الإسرائيلية، لفت الكاتب إلى أنّها لا تشكل خطراً على القوات الروسية، وهي تهدد النظام السوري. وأضاف أنّه خلال العامين الماضيين، كان الإتفاق بين تل أبيب وموسكو متمثلاً بأنّ "إسرائيل" تسمح لروسيا بدعم الجيش السوري، عبر ضربات جوية، من أجل استعادة بعض المناطق. في المقابل تغض روسيا الطرف عن الضربات الإسرائيلية المتكررة على مواكب ومخازن أسلحة إيرانية موجّهة إلى "حزب الله". من جهة أخرى، تتسق روسيا مع إيران لإعادة إحياء النظام السوري. وبرأي الكاتب إن إرسال إيران لطائرة مسيرة فوق الجولان كان دليلاً على أنّ روسيا لم تعد قادرة على احتواء مصالح الأطراف المختلفة في سوريا. ولفت الكاتب إلى أنّ هناك رأيين داخل الإستخبارات الإسرائيلية، إذ يوجد من يفكر بأنّ بوتين لن يتخلى عن القوات الموالية لايران المقاتلة على الأرض في سوريا وسيحدّ من حرية "إسرائيل" في العمل بالأجواء السورية، فيما يظنّ آخرون أنّ إسرائيل قد تهدد النظام السوري ووضع حدّ للإيرانيين. وأفاد تقرير للقناة الثانية الإسرائيلية عن توصل كل من إسرائيل وروسيا لاتفاق يقضي بإبقاء إيران بعيدة عنالشريط الحدودي الفاصل بين إسرائيل وسوريا، وذلك وفقاً لما نقلته صحيفة "جيروزاليم بوست" على موقعها الإلكتروني. ووفقاً للتقرير، اتفقت "إسرائيل" وروسيا على السماح للقوات التابعة لنظام الرئيس الأسد، بإعادة السيطرة على جنوب سوريا وصولاً إلى الشريط الحدودي مع كيان الاحتلال شريطة ألا يسمح لإيران ولا لـ "حزب الله" المشاركة في العملية

العسكرية التي من المتوقع أن يشنّها النظام في الجنوب. على أن تضمن روسيا ابتعاد قوات إيران و"حزب الله" عن المنطقة القريبة من الحدود بما فيها مرتفعات الجولان. وفي مقابل تمدد قوات نظام الرئيس الاسد نحو الجنوب، دعت روسيا جميع القوى الأجنبية لمغادرة سوريا، وهو أمر قام به وزير الخارجية الروسي (سيرغي لافروف)، حيث قال في مؤتمر صحفي "بالطبع، يجب سحب جميع القوات غير السورية على أساس المعاملة بالمثل" وأضاف "ينبغي أن تكون عملية ذات اتجاهين.. عندما يتم نشر ممثلين فقط عن القوات المسلحة السورية مع الحدود مع إسرائيل، يجب أن يكون هناك نتيجة لهذا العمل".

٤ - تحديات العلاقة الروسية الإسرائيلية:

١- تسعى روسيا عموماً إلى إضعاف الولايات المتحدة، والإمساك بالشرق الأوسط، بوصفه جزءاً من استراتيجيتها العالمية وقربه من حدودها. وفي المقابل تعتبر وزارتتا الدفاع والخارجية الإسرائيليّتان الولايات المتحدة الأميركية حليفة "إسرائيل" وحاميتها الأولى. وقد نجحت روسيا، من ناحيتها، في إنتاج دبلوماسية مرنة، وجعلت لنفسها «ماركة مسجلة» باعتبارها اللاعب الوحيد الذي في مقدوره التعامل مع الجميع .

٢- اتّضح أن أميركا -ما بعد الانتخابات الاخيرة- تتحاز بنسبة كبيرة إلى "إسرائيل"، وبالتالي فإن روسيا ستواجه مشكلة محدوديّة قوتها وتأثيرها عليها. فهي لا تستطيع استلام زمام القيادة التقليدية مثل أميركا، وعند حدوث أي صراع تكون "إسرائيل" فيه طرفاً، سواء كان مع غزة أم الضفة الغربية، أم مع لبنان وسورية أم مع أي تدخل إيراني مباشر، فإنّ مشاحنة جدّية ستنتشب بينهما .

٣- يتعارض تصدير السلاح والمعدات العسكرية إلى المنطقة، والذي هو من أهم عوامل النفوذ الروسي في الشرق الأوسط، مع المصالح الإسرائيلية، سواء في الماضي أم في الحاضر. فقد شكّلت الأسلحة والمعدات الروسية العمود الفقري لترسانة الأسلحة المعادية لـ "إسرائيل". وعلى هذا الصعيد برزت القدرة الإسرائيلية المحدودة في منع بيع هذه الأسلحة إلى أطراف مُعادية خاصة محور المقاومة امتداداً من طهران الى دمشق الى بيروت وقطاع غزة.

٤- على صعيد الطاقة، فشلت محاولات شركة النفط الروسية «غاز بروم» على مر السنين من الدخول إلى حوض شرق البحر المتوسط، وهذا يعود بنسبة كبيرة إلى الممانعة الإسرائيلية. وقد وقّعت أنقرة وتل أبيب اتفاقاً على مشروع عملاق لتصدير الغاز من "إسرائيل" إلى تركيا وأوروبا، مما يؤدي إلى خفض ارتباط تركيا وأوروبا بالغاز الروسي، وهذا يشكل وجهاً آخر لتضارب المصالح الإسرائيلية- الروسية.

٥- في الساحة الدولية؛ تحاول "إسرائيل" أن تتوخى أقصى درجات الحذر في ما يخصّ القضايا المهمة لروسيا. ففي الجلسة التي عقدت منتصف ٢٠١٤، والمخصّصة للتصويت على قرار يدين التدخل الروسي في أوكرانيا، تلقى المندوب الإسرائيلي أمرًا بالخروج من القاعة، مغضبًا الإدارة الأميركية، ولم تحظّ الهجمات التي يشنّها القراصنة الروس على شبكات الإنترنت، واستضافة روسيا إدوارد سنويدن بأيّ ردّات فعل من جانب "إسرائيل". ثم إن سياسة بوتين الداخلية القمعيّة لم تحظّ من الحكومة الإسرائيلية بأيّ اهتمام. وعلى الرغم من سجل روسيا في ما يخصّ التصويت في مجلس الأمن وفي الجمعية العامة للأمم المتحدة على قضايا تهّم "إسرائيل"، وكانت في معظمها سلبية، فإن "إسرائيل" تعاملت مع الأمر بوصفه «في حكم الطبيعة».

٦- ثمة صفة مميزة أخرى في العلاقات الإسرائيلية- الروسية تتعلق بوجود أكثر من مليون يهودي- روسي من إجمالي سكان "إسرائيل" البالغ عددهم ٨ ملايين. وقد وصل المهاجرون اليهود- الروس بمعظمهم إلى "إسرائيل" في التسعينيات من القرن الماضي. وبحسب الدبلوماسيين الإسرائيليين، فإنّ الرئيس بوتين، وفي الاجتماعات كلّها مع نظيره الإسرائيلي، كان يقول، إن لروسيا مليون شخص في "إسرائيل"، وإنه لن يفعل أبدًا ما يمكن أن يتسبّب لهم بالأذى.

٧- يبدو أن مسار العلاقات الروسية- الإسرائيلية المستقبلي سيكون مشابهًا للسيناريو الآتي:
أ- ثمة اهتمام من الطرفين، مستمرّ بالمحافظة على مظهر الصداقة، والفائدة المتبادلة التي يجنيانها من الارتباط بينهما.

ب- إذا استمرت الصراعات في الشرق الأوسط في خلق الأزمات، فإنّ روسيا و"إسرائيل" ستجدان نفسيهما في لحظة ما على طرفي نقيض وستكون مقدرتهما على «احتواء» المصالح المتضاربة ومعالجتها محل اختبار دائم.

ج - سيفاقم ازدياد التوتر في العلاقات الروسية- الأميركية، والعلاقات الروسية- الأوروبية، الضغوطات على "إسرائيل"، التي ستجد نفسها في مآزق سياسية، ما يجبرها على تصويب سياستها بصورة دائمة، وعلى إعادة النظر في علاقاتها بنظام بوتين الذي يرفع راية التحدي الدائم.

٥ - تحديات المصالح المتضاربة في سوريا:

لا شك بأنّ المصالح الروسية في سوريا، في جوهرها، هي ذات طبيعة سياسية استراتيجية وعسكرية واقتصادية وأمنية. ومن أهم هذه المصالح كما يجمع المراقبون، الاحتفاظ بالقاعدة العسكرية في ميناء طرطوس والتي تُعتبر مرفقًا روسيًا استراتيجيًا طويل الأمد. فبموجب اتفاقية موقعة بين البلدين في العام ١٩٧١،

يستضيف هذا الميناء قاعدة روسية للإمداد والصيانة تم تشييدها في الحقبة السوفياتية في أثناء الحرب الباردة، لدعم الأسطول السوفياتي في البحر الأبيض المتوسط. وتسعى روسيا منذ سنوات عديدة، إلى توسيع هذه القاعدة وتطويرها لتعزز حضورها في البحر المتوسط، في الوقت الذي تخطط فيه واشنطن لنشر درع صاروخية في بولندا للتضييق على روسيا ومصالحها في المنطقة. وفي هذا السياق شكّل انتشار القوات الروسية في شبه جزيرة القرم تأكيداً عملياً لجدية موسكو في التزام عقيدتها العسكرية الجديدة التي وقّعها الرئيس بوتين في خطوة اعتبرت مؤشراً على تعيّر جذري في سياسات روسيا تجاه توسّع حلف الأطلسي، الذي ينتشر على حدودها من أوروبا إلى آسيا الوسطى، مهدّداً أمنها القومي.

لقد وافقت سوريا في العام ٢٠٠٨ على تحويل ميناء طرطوس إلى قاعدة ثابتة للسفن النووية الروسية في الشرق الأوسط. ومنذ ٢٠٠٩ تقوم روسيا بتحديث القاعدة وتوسيع الميناء كي يستطيع استقبال سفن عسكرية أكبر حجماً. ومن جانب آخر، تعمل روسيا من خلال خطواتها الاستراتيجية الأخيرة في سوريا على تثبيت نفوذها وتأثيرها في الشرق الأوسط كدولة عظمى، مما يساعدها على استعادة مكانتها الدولية، التي تأثرت سلباً من جزاء الأزمة الأوكرانية. وهذا الأمر أوضحه تيودور لوكيانوف رئيس مجلس السياسات الخارجية والدفاع الروسي بقوله: «سوريا والشرق الأوسط عموماً، من المشكلات التي تجتذب الاهتمام العالمي، وبالتالي نحاول العودة إلى هناك لكي نكون لاعبين ناشطين».

في المقابل، تشدّد «إسرائيل» من ناحيتها على أنّ لها هي أيضاً مصالح حيوية واستراتيجية بعيدة المدى في سوريا. وفي هذا السياق، نقلت صحيفة هآرتس العبرية عن وزير الدفاع السابق موشيه يعالون، تأكيداً أن «إسرائيل لديها هي الأخرى مصالح في سوريا، وستتحرك للدفاع عن تلك المصالح من دون الحصول على إذن مسبق من أحد، مثلما تحركت روسيا ومن قبلها أميركا وحتى فرنسا وبريطانيا، ونفّذت جميعها عمليات عسكرية في سوريا من دون استئذان أحد، حتى النظام السوري نفسه».

ويضيف يعالون: «لدينا مصالحنا في سوريا وعندما تصبح مهددة سوف نعمل ونواصل العمل للحفاظ عليها، وقد نقلنا هذه الرسالة بوضوح إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين».

وفي حين اعتبرت الصحيفة أن «موسكو لم تهتم كثيراً برأي الولايات المتحدة وإسرائيل في العمليات التي تشنّها ضد الإرهابيين في سوريا»، أكّد وزير دفاع العدو أنّ بلاده «لن تعترض على التدخل العسكري الروسي، لكنّها تضع خطوطاً حمراً لمصالحها في سوريا، ولن تسمح لأحد بتجاوزها أيّاً كانت قوته، وأنّ حصول تنظيمات متطرّفة وإرهابية على الأسلحة يعد خطاً أحمر، لكنّ إقامة قواعد عسكرية إيرانية تهدّد إسرائيل، تمثل خطاً أحمر أيضاً».

من جهة اخرى، رأى يعقوب عميدرور الرئيس السابق لمجلس الأمن القومي أنّ التدخل العسكري الروسي في سوريا هو حصيلة ثلاثة أسباب: ضعف المجتمع الدولي، وفشل أوروبا في مواجهة مشكلة اللاجئين، والتبدل الكبير في موقف الولايات المتحدة وقبولها الضمني بالدور الإيراني- الروسي في المنطقة. وفي هذا السياق طرح المحللون الإسرائيليون اسئلة حساسة هي:

١- هل سيغيّر الوجود العسكري الروسي قواعد اللعبة السائدة على الحدود مع سوريا ولبنان، وهل سيحدّ من حرية التحرك الإسرائيلي في الأجواء السورية؟

٢- هل سيؤدي الوجود الروسي إلى تقليص نفوذ إيران في سوريا ولبنان، على الرغم من التحالف الوثيق بين البلدين؟

٣- هل آن الأوان كي تقوم "إسرائيل" بتوسيع نفوذها في جنوب سوريا وهضبة الجولان لمنع تعاضم قوة التنظيمات الجهادية المتطرفة؟

٤- ما الدور الذي يمكن أن تؤديه "إسرائيل" في التحالف الذي تقيمه روسيا لمحاربة داعش؟
أمام هذه الإشكاليات والتداعيات، يرى المحللون الإسرائيليون أن لكلّ من روسيا و"إسرائيل" أهدافاً مشتركة في منطقة كوباني (عين العرب). ف "إسرائيل" تريد المحافظة على مناطق الأكراد المتعاطفين معها وإبقائها تحت سيطرة القوى الكردية نفسها، وبالتالي فمحاربة روسيا لتنظيم الدولة ومنع نشوب معارك بين الأطراف هناك، يصبّ في مصلحة الإسرائيليين، الذين يريدون أيضاً استقطاب الأقلية الدرزية في منطقة جبل الدروز القريب من الجولان المحتل.

٦ - التحدي الإيراني في سوريا:

تواجه "إسرائيل" عدداً من العوائق في استمرارها بسياسة استهداف الوجود العسكري الإيراني في سورية. ولا تتمثل هذه العوائق بالخشية من ردة الفعل الإيراني بقدر ما تتمثل بالوجود الروسي العسكري في سورية، وبموقف روسيا من هذه الضربات. فالى جانب التداخل بين القوات الإيرانية والروسية في كثير من المواقع في سورية، وهو ما يزيد من صعوبة الهجمات الإسرائيلية من دون استفزاز القوات الروسية، هناك تناقض واضح بين ما تسعى "إسرائيل" لتحقيقه، وهو وقف تعزيز قوة إيران العسكرية في سورية تمهيداً لإخراجها منها، وبين المصلحة الروسية في الحفاظ على القوات العسكرية الإيرانية التي تعدّها روسيا حليفاً "برياً"، وتعد وجودها في سورية شرعياً وضرورياً لاستكمال بسط نفوذ النظام السوري بالوسائل العسكرية، أساساً، على مختلف أنحاء سورية. والواقع أن روسيا تمتلك أوراق قوة عديدة في هذا الملف، مثل التهديد بتفعيل منظومة صواريخها

المتطورة الموجودة في سورية ضد الطائرات الإسرائيلية، والتي لا تغطي سورية فحسب، بل معظم أجواء فلسطين المحتلة أيضًا، أو تزويد النظام السوري بمنظومات صواريخ أس ٣٠٠، التي كانت قد قررت في السابق تزويده بها، ثم تراجع عن هذا القرار تحت ضغط «إسرائيل» والولايات المتحدة. وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن روسيا لن تلجأ إلى ذلك في المدى المنظور. ومن المرجح أن يتوصل الطرفان إلى تفاهات بشأن الخطوط الحمر الإسرائيلية التي تحفظ ماء وجه روسيا، من دون أن تتوقف «إسرائيل» عن استهداف القوات الإيرانية في سورية بين الفينة والأخرى عند خرق الخطوط الحمر الإسرائيلية.

من ناحية أخرى يعتبر أمير بوحبوط، محلل الشؤون العسكرية في موقع «واللا» الاستخباري الإسرائيلي، أنّ التدخل الروسي في سوريا من شأنه أن يغيّر موازين القوى في منطقة الشرق الأوسط كلها. ويضيف أن العلاقة بين سوريا وروسيا تعود لعشرات السنين، ومنذ اندلاع الأحداث الدموية في سوريا (٢٠١١) رفضت روسيا التخلي عن حليفها. وقد تطوّر الموقف الروسي من تقديم الاستشارات العسكرية النظرية إلى تقديم إمدادات الأسلحة والخبراء العسكريين، ثم أخيرًا توفير قوات جوية واستخباراتية روسية داخل الأراضي السورية. ولفت المحلل إلى أن الموقف الروسي بالتدخل، جاء بسبب الخوف من فقدان موطن قدم مهم وأخير لروسيا في المياه الدافئة في الشرق الأوسط، وانتقاله بالتالي إلى النفوذ الأميركي المباشر، بالإضافة إلى الخوف من تهديدات فصائل إرهابية شيشانية موالية لداعش، بشنّ عمليات تستهدف المصالح الروسية الحيوية. ورأى بوحبوط أن التواجد الروسي في سوريا سوف يحدّ من قدرة الجيش الإسرائيلي على تنفيذ أي عمليات داخل سوريا، في ظل وجود الطائرات والأسلحة الروسية، وأيضًا رادارات وأجهزة الرصد والتعقب، المتطورة للغاية، والتي يمكن أن ترصد وتردع أي عملية عسكرية للطائرات الإسرائيلية داخل سوريا.

ويؤكد بوحبوط أن «إسرائيل» بمفردها لن تتمكن من مجابهة الوجود الروسي في سوريا، وأنها لن تسعى للاحتكاك به إلا إذا لاقت دعمًا مستميتًا من جانب الإدارة الأميركية، في حين أن زيادة التدخل الروسي في سوريا هي دليل على توتر العلاقة بين الإدارة الأميركية و«إسرائيل» بشكل غير مسبوق، وهي أيضًا إشارة لدول مثل مصر مفادها أن روسيا لا تترك حلفاءها مثلما تفعل الولايات المتحدة.

على هذه الخلفية رأى يوسيف ميلمان المعلق الأمني في صحيفة معاريف، «أنّ ثمة تخوفًا إسرائيليًا من أن يقلص استمرار الوجود الروسي في سوريا هامش المناورة أمام الجيش الإسرائيلي عمومًا وسلاح الجو خصوصًا، في الشمال». ويضيف: «إنّ إسرائيل لا تريد التدخل في الحرب الأهلية في سوريا، ومع ذلك فهي كانت تتدخل فيها بين حين وآخر كلما اعتقدت أن مصالحها الأمنية تتطلب هذا التدخل». وبحسب المعلق، فإنّ هذه المصالح كما جاءت على لسان وزير الحرب موشيه يعلون ورئيس الأركان ايزنكوت، هي «منع

وصول السلاح الحديث والمتطور إلى حزب الله، وإجهاض تنفيذ عمليات ضد إسرائيل، وبذل الجهود من أجل عدم إلحاق الضرر بالطائفة الدرزية في سوريا»، على حدّ زعمه.

ويذكر ميلمان أن "سلاح الجو الإسرائيلي كان يتحرك كلّما توافرت معلومات استخباريّة ومن دون الحاجة إلى التنسيق مع أي جهة، لكن من الآن فصاعدًا ستضطر إسرائيل إلى تنسيق خطواتها مع روسيا». كذلك رأى أن «إسرائيل قلقة من إرسال السلاح إلى إيران ومنها إلى سوريا وحزب الله، والتقديرات هي أنه وصلت إلى أيدي حزب الله في السنوات الأخيرة صواريخ بر - بحر من صنع روسيا». وهو يرى أيضًا أن ثمة قلقًا آخر لدى "إسرائيل" يتركز حول جهود إيران التي تستمر منذ سنة بمساعدة حزب الله على إقامة شبكات مقاومة في الجولان السوري. ومع ذلك يرى ميلمان أن تكثيف التدخل الروسي في سوريا، إنما يحقق هدفًا استراتيجيًا إسرائيليًا من الطراز الأول، يتمثل في "إطالة أمد الحرب، الأمر الذي يعني إرهاب جميع الأطراف بشكل يخدم في النهاية المصالح الإسرائيلية". ويضيف أن إطالة أمد المواجهة الدائرة في سوريا، سيفضي إلى تقليص فرص تورط "إسرائيل" بشكل مباشر في سوريا، ما يمكّن تل أبيب من تحقيق مصالحها بصمت، ومن دون دفع أثمان سياسية وأمنية كبيرة.

٧ - تقديرات متضاربة في قراءة المشهد:

يقول فيليب سميث الباحث في "معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى" أن مسألة سحب القوات الإيرانية من جنوب سوريا "يتطلب مزيداً من التعريف" وأضاف في تصريحه للصحيفة "هنالك العديد من القوات، بما في ذلك قوات محلية مقرها في جنوب سوريا وتخضع لسيطرة طهران وحزب الله اللبناني" وقال (سميث) أن لديه "صعوبة في التصديق أن إيران ستلتزم بأي إجراءات من شأنها أن تؤدي إلى انسحابها من المنطقة".

من جانب آخر قال (أيمن التميمي) في "منتدى الشرق الأوسط" إنه "من المستبعد جداً" أن يقوم نظام الرئيس الأسد بكسر تحالفه مع طهران مؤكداً أن "إيران أنفقت الكثير من الموارد لضمان بقاء الأسد". من جهة أخرى قال (تشاغي تسوريبيل)، المدير العام لوزارة الاستخبارات الإسرائيلية لصحيفة "التلغراف"، إنه يعتقد أن روسيا تشعر بالإحباط من الوجود الإيراني في سوريا، وبأنها تخشى من أن يؤدي القتال بين "إسرائيل" وإيران إلى تهديد مصالحها. وأضاف "تقييمي هو أن الروس مهتمون باستقرار إنجازاتهم في سوريا، وأعتقد أنهم يفهمون أنه إذا استمر الإيرانيون وفق المسار الحالي، فإن ذلك سيؤدي إلى التصعيد مما سيسبب بتدمير خططهم".

وأشار (تسوريبيل) إلى أنه يعتقد أن الضربات الإسرائيلية - مقترنة بانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني والاستياء الاقتصادي داخل إيران - توجع التوترات بين إيران وحلفائها الروس والسوريين

الموالين للنظام". وأشار إلى اعتقاده بأن اللحظة الحالية "مليئة بالفرص، لأن الوضع الحالي الذي نحن فيه هو لحظة مناسبة لمحاولة تغيير الوضع الاستراتيجي بشكل جذري".

بدوره، قال (مايكل هوروفتس) المحلل البارز في "لو بيك" المختصة بالاستشارات الجيوسياسية، "إن إسرائيل كانت تحاول منذ فترة طويلة تحذير روسيا من مخاطر وجود إيران في سوريا، إلا أن تحذيراتها لم تؤخذ على محمل الجد إلا مؤخراً". وحذر من أن التحول الأخير لا يعني بالضرورة أن "إسرائيل" ستحقق هدفها بإجبار إيران على الخروج من سوريا قائلاً "هذا لا يعني أن إسرائيل فازت. لكن هذا يعني أن الديناميكيات تتغير لأول مرة".

ونقل الكاتب الإسرائيلي بن كاسبيت عن جنرال إسرائيلي قوله، إن "ما يعزز من قدرة إسرائيل على تحقيق مصالحها، هو حقيقة أن الروس يقدرون القوة ويحترمون القوي"، مشيراً إلى أن "إسرائيل لا تتردد في لفت أنظار الروس، إلى عدم ترددها في القيام بكل ما تراه مناسباً لضمان تحقيق مصالحها". وبحسب الجنرال، فإن "إسرائيل تلقت القيادة الروسية إلى خطوطها الحمراء"، مشيراً إلى أنه بعد ساعات على مغادرة كل من وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، ورئيس هيئة الأركان الروسي فاليري غيراسيموف، تل أبيب، أقدم سلاح الجو الإسرائيلي على إسقاط الطائرة السورية من طراز (سوخوي) التي اخترقت الأجواء فوق الجولان المحتل، على الرغم من أن طاقم الطائرة أقدم على ذلك بطريق الخطأ.

ولفت إلى أن "إسرائيل، وعلى الرغم من أنها تتمتع بهامش حرية شبه مطلق في سورية، إلا أن التنسيق والتعاون الاستراتيجي بينها وبين روسيا، لم يكن في يوم من الأيام، أقوى مما هو عليه الآن". وأشار الجنرال الإسرائيلي، إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، يلتقي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بمعدل مرة كل شهر، في حين يتحدث وزير الأمن الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان هاتفياً، مرة كل أسبوع، إلى نظيره الروسي سيرغي شويغو، إلى جانب أن رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي غادي آيزنكوت، يتواصل بشكل مكثف مع الجنرال غيراسيموف.

وأشار مصدر عسكري إسرائيلي آخر، بحسب ما نقل الكاتب بن كاسبيت، إلى أن ما يفتح المجال أمام "إسرائيل" لتحقيق مصالحها في سورية، هو حقيقة أن التحالف الإيراني الروسي في سورية، تحول، مؤخراً، إلى تنافس، على اعتبار أن بوتين معني بأن تستأثر روسيا بتنفيذ كل مشاريع إعادة الإعمار في سورية، ويرى أن لموسكو وحدها الحق في أن تكون الطرف صاحب التأثير الرئيس في البلاد. وأضاف المصدر: "بوتين لم يعد فقط معنياً بأن تواصل إسرائيل ضرب إيران في سورية واستنزافها، بل معني بأن تنجح تل أبيب في تحقيق هدفها الاستراتيجي المتمثل في إبعاد الإيرانيين من هناك، على اعتبار أن هذا ينسجم مع مصالح روسيا".

وبحسب المصدر، فإنّ "التحويلات الداخلية في إيران، تلعب دوراً مركزياً في تحسين قدرة تل أبيب على تحقيق هدفها المتمثل بطرد القوات الإيرانية من سورية، لافتاً إلى أنّ الرئيس الإيراني حسن روحاني، يعدّ ضمن الأطراف الإيرانية الداخلية التي تعارض الوجود العسكري في سورية، لأنّه معني بتعزيز الاستثمار في الاقتصاد الإيراني".

ورأى المصدر، أنّ "مؤسسة الرئاسة بزعامة روحاني، والمؤسسات الرسمية الأخرى في الدولة الإيرانية، تشكل طرفاً، في حين يشكّل الحرس الثوري وتحديداً (فيلق القدس) بقيادة قاسم سليمانى طرفاً مضاداً". وبحسب التقديرات الاستخبارية الإسرائيلية التي عبّر عنها المصدر، فإنّ آخر ما يعني روحاني هو مواصلة استثمار مليارات الدولارات في التدخل بسورية، معتبراً أنّ قرب الجنرال سليمانى من المرشد الأعلى الإيراني السيد علي خامنئي يصنع الفرق لصالحه.

كما نقل كاسبيت عن مصدر أمني إسرائيلي آخر، قوله إنّ الاحتجاجات التي تتعاضم في طهران على خلفية تدهور الأوضاع الاقتصادية، تقلّص هامش المناورة المتاح أمام الحرس الثوري، معتبراً أنّ هذه الاحتجاجات "تمثّل رافعة ضغط ضد كل الأطراف التي تصمم على مواصلة الاستثمار في التدخل في سورية".

إلى ذلك، قال يوسي ميلمان معلق الشؤون الاستخبارية في صحيفة معاريف، إنّ الافتراض الذي يستند إليه أولئك الذين يحذرون من انفجار الجبهة الشمالية في "إسرائيل"، بسبب سيطرة نظام الرئيس الأسد على جنوب سورية "غير واقعي".

واعتبر ميلمان، في تحليل نشرته معاريف أنّ "آخر ما يعني الأسد في الوقت الحالي، هو التسبّب في استفزاز إسرائيل، على اعتبار أنّها قادرة على تهديد الإنجازات التي حققتها". وأضاف أنّ "التقاهمات التي توصلت إليها إسرائيل وروسيا، خلال اللقاءات التي جمعت نتنياهو و بوتين، وعبر الاتصالات المباشرة بين ليرمان وشويغو، أسهمت بشكل كبير في تقليص فرص وقوع حدث يمكن أن يفضي إلى تفجير الجبهة الشمالية في إسرائيل".

ورأى محللون إسرائيليون آخرون أنّهم على الرغم من الهجوم الثلاثي الذي نفّذته أميركا وبريطانيا وفرنسا على سورية، في شهر نيسان الماضي، والضربات التي نسبت إلى سلاح الجو الإسرائيلي وطالت مقرات عسكرية لنظام الرئيس بشار الأسد، بيد أنّ "الخط الساخن" بين موسكو وتل أبيب لم يتضرر، حيث تواصل العمل والتنسيق من وراء الكواليس برغم التوتر الذي عكسته وسائل الإعلام بين روسيا وإسرائيل". وقللت المراسلة السياسية لصحيفة هآرتس نوعي لاندوا، مناهمية التوتر في العلاقات بين روسيا وإسرائيل" على

خلفية الضربات على سورية، ورجّحت أن العلاقات بين موسكو وتل أبيب، وبرغم تباين المواقف منها، فإنها لم تتضرر برغم السجال الدبلوماسي عبر وسائل الإعلام. وقدّرت أن ما يسمى بـ"الخط الساخن" بين الكرملين ووزارة الأمن في تل أبيب حيال الأوضاع في سورية ما زال يعمل من دون أي توقف.

وفي الوقت الذي تخيم الضبابية على مستقبل العلاقات الدبلوماسية بين موسكو وتل أبيب، فقد قطعت المراسلة لاندوالشك باليقين باستبعاد تأزم العلاقات بين الجانبين، ولفتت إلى المصالح المشتركة المكتسبة عبر العلاقة المستقبلية بينهما في المنطقة حيال كل ما يتعلق بتعزيز الوجود الإيراني في سوريا وتحديداً على خط وقف إطلاق النار بالجزلان المحتل. وأوضحت المراسلة أنه في العلن، وعقب قصف القاعدة العسكرية الـ"تيفور" في حمص، وهو الهجوم الذي نسب إلى الطيران الحربي الإسرائيلي، عمدت روسيا على بث مؤشرات لأزمة دبلوماسية مع تل أبيب تعدت الشجب والاستنكار من قبل الكرملين بدعوة السفير الإسرائيلي في موسكو لجلسة استماع.

وقد اعترف ضابط كبير في الجيش الإسرائيلي، أن سلاح الجو الإسرائيلي قصف القاعدة العسكرية الـ"تيفور" بسورية، حيث استهدف القصف عناصر من الحرس الثوري الإيراني. واعتبر هذا التصريح أول اعتراف رسمي إسرائيلي بالمسؤولية عن قصف القاعدة العسكرية التي نسبتها إليها روسيا. بيد أن الضابط رجّح أن الحديث يدور عن إجراءات رمزية لا تحمل بمضمونها أي جوهر من شأنه أن يشوّش على مستقبل العلاقات الثنائية، مبيّناً أن هذا الإجراء الدبلوماسي هدف إلى بث مؤشرات تجاه الخارج والمجتمع الدولي، بأن روسيا ممتعضة من العمليات الإسرائيلية في سوريا التي تعتبرها موسكو جزءاً من "سيادتها". لكن من وراء الكواليس، واعتماداً على مصادر مطلّعة وعلى دراية بجوهر العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين، تشير المراسلة السياسية إلى تواصل التنسيق الدبلوماسي والأمني بين موسكو وتل أبيب عبر ما وصفته بـ"الخط الساخن"، وهو الإجراء الذي أدّى لتبدّد التوتر وإعادة الاستقرار والهدوء للعلاقات بينهما منذ قصف القاعدة العسكرية الـ"تيفور". وتجزم المحلّة أن القصف وضرب سوريا لم ولن يتسبب بأزمة دبلوماسية بين البلدين، على الرغم من أنه يتم وصف الوضع بـ"الحساس والمتوتر" أكثر من أي وقت مضى.

في وقت مبكر من شهر حزيران من هذا العام، وصلت المعركة الطويلة بين "إسرائيل" وإيران في سوريا إلى منعطف تصعيدي غير مسبوق. وما يُعتقد هو أن الهجوم الصاروخي الإيراني ضد مواقع للجيش الإسرائيلي في هضبة الجزلان المحتلة (الذي كان نفسه رداً على غارات جوية إسرائيلية سابقة ضد قاعدة إيرانية في سوريا) دفع تل أبيب إلى شن هجوم أوسع. فقد شنت الطائرات الإسرائيلية غارات على نحو ٥٠ هدفاً إيرانياً في سوريا، أي تقريباً كل قاعدة أو منشأة إيرانية معروفة هناك، ما أدى، بحسب محللين، إلى

تراجع قوتها العسكرية في سوريا. في المقابل حرص الرئيس السوري، بشار الأسد، على طرد أكبر عدد ممكن من الميليشيات العسكرية الإرهابية، على الأقل تلك الميليشيات التي أعلنت ولاءها لتنظيم الدولة الإسلامية. الأمر الذي فتح بوتقة صراعات جديدة، أدت إلى إثارة التوترات بين الأطراف الخارجية الثلاث التي لها مصالحها الاستراتيجية الأكثر أهمية في البلاد، وهي إيران وإسرائيل وروسيا. ذلك أن العلاقة بين الدول الثلاث علاقة غير عادية على الإطلاق، وهذا أقل ما يقال فيها. فإيران و"إسرائيل" عدوان لدودان لبعضهما بعضاً، وسوريا في طريقها لأن تصبح أخطر جبهة في صراعهما الميرير. أما روسيا وإيران فهما الداعمان العسكريان الرئيسيان للرئيس الأسد في سوريا. وبدونهما ربما كان حكم الأسد شهد مخاطر هائلة أكثر مما حصل. لكن موسكو، من ناحية أخرى، لديها علاقات وثيقة ب"إسرائيل"، فرئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، كان مدعواً مؤخراً كضيف شرف في استعراض عسكري ضخم في موسكو، احتفالاً بذكرى الانتصار في الحرب العالمية الثانية. لذلك، كيف توازن روسيا علاقتها مع إيران و"إسرائيل" على حد سواء؟ وهل تتباين مصالحها الاستراتيجية مع كليهما في سوريا؟

إن عدم إدانة روسيا، وهي أكبر حليف لسوريا، للضربات الإسرائيلية بشكل واضح، ترجمه البعض باعتباره موافقة بشكل ما على ما حدث. وجاء تصريح ليبرمان في مؤتمر أمني عُقد بالقرب من تل أبيب، وقال فيه إنه يأمل أن تكون رسالة "إسرائيل" قد وصلت إلى الجميع، مضيفاً أنه يأمل أن تكون أحدث جولة من العنف مع إيران على الحدود السورية قد انتهت، على حدّ تعبيره، خاتماً بأن "إسرائيل لا تريد تصعيد الوضع". وعن موقف روسيا مما حدث، خرج من وزارة الخارجية الروسية بيان بارد عبّرت فيه موسكو "عن قلقها إزاء تصاعد التوتر بين طهران وتل أبيب"، داعية جميع الأطراف "إلى ضبط النفس". واكتفى نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف بالقول إن ما حدث "أمر مقلق للغاية، ويجب العمل على إزالة التوتر". مضيفاً "نحن على اتصال مستمر مع كافة الأطراف". كما حثّ الكرملن الطرفين على ضبط النفس و"تهدئة التوترات بالوسائل الدبلوماسية فقط".

تمتلك روسيا، الحليف المفترض لإيران في سوريا، قاعدة جوية بها أجهزة رادار وصواريخ أرض جو يمكنها بكل قوة التصدي لأي ضربات جوية إسرائيلية إذا أرادت. لكنها حتى الآن لم تفعل شيئاً. وتركت، فعليا، السماء فوق سوريا ولبنان مفتوحة أمام الاعتداءات الجوية الإسرائيلية. علماً بأن هناك خطأً ساخناً دائماً بين القوات الإسرائيلية والروسية في سوريا لضمان عدم تعارض ضربات "إسرائيل" الجوية مع التحركات الجوية الروسية. بالتالي، ما هي النتيجة التي يمكن استخلاصها من السلوك الروسي؟ وهل هناك أمر لم تعد تتفق عليه موسكو وطهران؟ وماذا يمكن أن يعني ذلك بالنسبة للحرب غير المعلنة بين "إسرائيل" وإيران؟

في البداية، كان الأمر أبسط بكثير، فعندما بدأ الأسد على وشك الانهيار في آب ٢٠١٦، شعر حلفاؤه بأنهم مجبرون على مساعدته. ووفرت روسيا دعماً جويًا قويًا بينما ساعدت إيران بقوى المقاومة المختلفة، من بينها حزب الله في لبنان، وقوات الأسد في الميدان. ومن هذا المنطلق، كانت أهداف روسيا وإيران متوافقة، سواء لتعزيز الموقف العسكري أو، إذا أمكن، تمكين النظام من مواصلة الهجوم لاستعادة الأراضي التي فقد السيطرة عليها.

بالنسبة لروسيا، كان هذا كله يتعلّق بتوفير الدعم لحليف قديم، حليف تعود العلاقة معه إلى سنوات الحرب الباردة. وقد شعرت روسيا بالقلق من زعزعة الوضع المتزايدة في المنطقة، والخوف من أن يؤدي زحف داعش في نهاية المطاف إلى إثارة المشاعر بالقرب من حدود روسيا. وكانت هناك اعتبارات جيو-استراتيجية أيضاً، إذ شكلت سوريا وقاعدة روسيا البحرية الصغيرة (التي يجري توسيعها الآن) قبضة صغيرة لموسكو في الشرق الأوسط، وهي المنطقة التي كانت حريصة على تجديد نفوذها فيها لتراجع نفوذ واشنطن بها. كما هدفت إيران، أيضاً، إلى مساعدة حليف مهم وقديم لكن كانت لها حسابات جيو-استراتيجية في سياستها هي الأخرى. فسوريا الضعيفة والمقسّمة لن تشكل تهديداً كبيراً لـ "إسرائيل"، في حين تنظر "إسرائيل" إلى إيران وسعيها المفترض المزعوم للحصول على قنبلة ذرية تهديداً وجودياً، كما أن إيران نفسها ترى أن القوة العسكرية الإسرائيلية بعيدة المدى تشكل تهديداً كبيراً وعقبة أمام تحقيق أهدافها الإقليمية.

ولهذا، إذا تمكّن نظام الأسد من الاستقرار، ورسخت قوات إيرانية أو قوات بالوكالة وجودها في سوريا، عندئذ يمكن مواجهة "إسرائيل" بالقرب من حدودها. وفي الواقع، فإن النفوذ الإيراني المتنامي في العراق واستمرار وجود الرئيس الأسد يمكن أن يوفر لها فرصة لإنشاء ممرّ بري يمتد عبر سوريا إلى لبنان، وهو ما قد يسمح في يوم من الأيام بوصول الأسلحة والإمدادات العسكرية إلى حزب الله.

لقد شهدت انتصارات الأسد المتنامية ترسيخ مجموعة من القوات الموالية لإيران وجودها في سوريا، بداية من وحدات من قوات الحرس الثوري حتى مجموعة متنوعة من فصائل وقوى المقاومة المتنوعة الانتماءات. في المقابل أطلقت "إسرائيل" حملة دعائية كبرى لإقناع العالم بأن إيران تسعى إلى وجود عسكري دائم في سوريا، وتؤكد أن هذا أمر لن تسمح به.

لقد دفعت التوترات المتصاعدة إلى وجود نشاط دبلوماسي كبير بين "إسرائيل" وروسيا، فزار وزير الدفاع الإسرائيلي، أفيدور ليرمان، موسكو لإجراء محادثات مع نظيره الروسي، سيرغي شويغو. وتشير كل المؤشرات إلى أن روسيا كانت منزعة من ضراوة الضربات الإسرائيلية على المنشآت الإيرانية، خوفاً من أنه إذا استمر

هذا الوضع فيمكن أن يؤدي إلى مواجهة قد تهدد سيطرة الرئيس الأسد على السلطة. والظاهر أن روسيا كانت مستعدة لدعم خطة تحظر اقتراب أي قوات موالية لإيران من حدود الأراضي السورية التي تحتلها "إسرائيل". لكن هذا يرجح أن يكون بمثابة وسيلة مؤقتة، ف "إسرائيل" تعارض وجود إيران العسكري في سوريا برمتها، وكانت معظم غاراتها الجوية بعيدة كل البعد عن الجولان. وقد دعا الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، إلى انسحاب جميع القوات الأجنبية من سوريا، وهي الدعوة التي كررها وزير خارجيته، سيرغي لافروف، وقال إنه يتعين على القوات السورية فقط الانتشار جنوبي البلاد.

وتقدّر شخصيات إسرائيلية أن الدافع وراء رد الفعل الروسي الصارم وغير المعهود، هو حالة التأهب القصوى والطوارئ في الكرملين عشية الهجوم الغربي على سورية الذي قاده أميركا، وذلك في الوقت الذي تؤسس روسيا لموضع قدم وتعزز من نفوذها ومكانتها في الشرق الأوسط قبالة دول عظمى أخرى. ولأن روسيا تسعى لمواصلة جهودها لتعزيز مكانتها ونفوذها في الشرق الأوسط، اختارت عدم انتقاد ومهاجمة دول الغرب وأميركا، وبالمقابل اختارت توجيه جلّ غضبها وسخطها وانتقاداتها إلى "إسرائيل"، حيث حددت الاعتبارات المختلفة لهجة الخطاب الروسي في الانتقاد أو حتى في الإجراءات الدبلوماسية قبالة "إسرائيل"، عبر اختيار وسائل دبلوماسية تعبيرية وكلامية فقط، فيما دأبت موسكو الحفاظ على سياسة الوضع القائم مع أميركا في منطقة الشرق الأوسط.

وفي الوقت الذي تشهد العلاقات العلنية بين البلدين حالة من المد والجزر على خلفية تطورات الأحداث الميدانية بسورية، لكن ثمة من يرجح أن العلاقات بين البلدين متينة ووطيدة، كونها تحظى بعناية فائقة وعالية مباشرة من قبل رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، الذي يتولى أيضا وزارة الخارجية، حيث أشاد في كثير من المناسبات بالعلاقات الشخصية الوطيدة التي تجمعها بالرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، وهي العلاقة التي يوظفها من أجل لتحسين العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

مساء يوم الخميس ٢٠١٨،٥،٣١ قالت وسائل إعلام إسرائيلية وروسية، إن موسكو وتل أبيب تعملان للتوصل إلى اتفاق، يضمن إخراج إيران من سوريا، وذلك خلال لقاء يجمع بين وفد إسرائيلي يضم وزير الأمن الإسرائيلي، أفغيدور لبيرمان، الذي وصل إلى موسكو قبل ذلك بيوم واحد، يرافقه رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (امان) في الجيش الإسرائيلي، تامير هايمان، في زيارة قصيرة يجتمع خلالها مع نظيره الروسي، سيرغي شويجو، ومستشار الرئيس الروسي لشؤون الأمن القومي، نيكولاي باتروشييف. وقد شارك من الجانب الإسرائيلي في المحادثات مع الوفد الروسي أيضا كل من سفير "إسرائيل" في موسكو غاري كورن، ومسؤولون في وزارة الخارجية الإسرائيلية، وممثلون عن وزارة الأمن والجيش الإسرائيلي والموساد. وبحسب المصادر، فإن

المحادثات كانت معدة لوضع اللمسات الأخيرة على اتفاق روسي - إسرائيلي، رسمت بنوده سابقا خلال محادثات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتيناهو، في موسكو قبل عدة أسابيع على هامش أعياد النصر، وذلك يهدف إخراج إيران من سوريا. وكشفت مصادر مقربة من الكرملين، أن الاتفاق المذكور يتضمن ٣ بنود أساسية تشمل انسحاب جميع القوات الأجنبية من جنوب سوريا وتسليم هذه المنطقة إلى قوات نظام الرئيس بشار الأسد، والذي بدأت موسكو بالفعل التمهيد لتنفيذه من خلال تصريحات وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف بشأن انسحاب كافة القوات غير السورية من المنطقة الجنوبية، وإخلاء المنطقة من الوجود الإيراني والقوى الموالية له لتكون على بعد يزيد عن ٢٥ كيلومترا. ومن ثم توفير ضمانات روسية بعدم تعرض "إسرائيل" لضربات من الأراضي السورية، والحفاظ على عدم تصعيد التوتر، وهذا ما ضمنته موسكو منذ دخول قواتها إلى سوريا عام ٢٠١٥ في وعود قدمتها لحكومة تل أبيب، حيث أعلن بوتين آنذاك عقب محادثات أجراها مع نتيناهو أن سوريا لن تشن حرباً ضد "إسرائيل".

في السياق ذاته، أكدت صحيفة "هآرتس"، الإسرائيلية، أن ليبرمان يعتزم مناقشة الأحداث الجارية في الشرق الأوسط، وعلى رأسها التوتر بين "إسرائيل" وإيران بسبب الانتشار العسكري الإيراني في سورية. وأبرزت الصحيفة تصريحات وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، التي أدلى بها في وقت سابق، وأكد فيها "أن قوات النظام السوري فقط هي التي يجب أن تتواجد في جنوب سوريا"، وهذا كان بمثابة تلميح إلى أن روسيا تميل إلى قبول المطالب الإسرائيلي بشأن إبعاد عناصر الحرس الثوري الإيراني، عن المنطقة الحدودية الفاصلة بين "إسرائيل" وسوريا. وختمت الصحيفة بأن هذا الاتفاق يأتي على خلفية الهجوم الإسرائيلي الواسع ضد عشرات المواقع الإيرانية على الأراضي السورية في العاشر من أيار المنصرم، ردًا على إطلاق صواريخ إيرانية باتجاه الجولان السوري المحتل، إضافة إلى قلق موسكو من أن استمرار العمليات الإسرائيلية سيعرض للخطر استقرار النظام في سوريا. ونقلت الصحيفة عن مصادر دبلوماسية أن سوريا بعثت برسائل، عن طريق وسطاء، إلى "الدول المجاورة"، مفادها أنها على استعداد لضمان انسحاب قوات حزب الله وحرس الثورة الإيرانية إلى مسافة ٢٥ كيلومترا من الحدود معقوات الاحتلال الإسرائيلي في الجولان.

وذكرت "هآرتس" نقلا عن مصدر دبلوماسي غربي قوله إن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، ضغط على الرئيس بشار الأسد لخفض النشاط العسكري الإيراني في سورية لتجنب مواجهة عسكرية واسعة بينها وبين كيان الاحتلال. وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتيناهو، صرح، في وقت سابق، أنه "لا مجال لأي تواجد إيراني عسكري في أي جزء من سوريا". وبحسب تقديرات الاستخبارات الإسرائيلية فإنه يوجد، اليوم، في سورية ما يقارب من ألفين من الضباط والمستشارين الإيرانيين وعناصر حرس الثورة، إضافة إلى نحو ٩ آلاف

من "المليشيات الشيعية" من أفغانستان وباكستان والعراق، ونحو ٧ آلاف مقاتل من حزب الله. وكان نائب وزير الخارجية ومبعوث الرئيس الروسي للشرق الأوسط، ميخائيل بوغدانوف، قد أعلن في وقت سابق أن لقاء على مستوى وزاري سينعقد بين ممثلي روسيا والأردن والولايات المتحدة، لوضع خطة تضمن تهدئة التوتر في جنوب سوريا وإيقاف إطلاق النار. ورجح مراقبون في حينه أن لقاء بوتين - الأسد الذي عقد في سوتشي قد تركز على آليات تنفيذ هذه الخطة، حيث نشرت جريدة "نيزافيسميا" الروسية معلومات تفيد بأن الرئيس بشار الأسد قد أصدر تعليمات بتقليص الوجود العسكري الإيراني في المطارات السورية.

على هذه الخلفية، وفي مجال التحليلات، أوضح بنحاس عنباري، من مركز القدس للشؤون العامة، بأنه يعتقد بأن "إسرائيل" لن تسمح لإيران بتثبيت منصات لصواريخها على مسافة قريبة من حدودها، مضيفاً: "أعتقد أن أوروبا والدول العربية أيضاً لا يمكن أن تقبل بذلك، لأن الصواريخ الإيرانية في تلك القواعد قد توجه بكل سهولة نحو أهداف عربية وأوروبية! وقرار إيران الامتداد إلى سوريا لن تقبل به إسرائيل ولن تسمح لها بذلك". وأضاف عنباري ان المصالح الروسية في سوريا "ما تزال مضمونة، طالما استمرت إسرائيل في تنسيق ضرباتها العسكرية مع موسكو. وعندما لا يحصل مثل هذا التنسيق أحياناً - مثل الضربة التي حصلت ضد القاعدة الإيرانية، والتي أثارت غضب روسيا وكان من الواضح أنها لم تكن بالتنسيق معها - فان روسيا عبرت عن عدم رضاها في هذه الحالة، بينما بقيت صامتة ولم تتحرك في بقية الضربات". كما أن موسكو، من ناحية أخرى، لن تقبل بأن يكون ثمن تثبيت حكم الرئيس الأسد في سوريا دخول كل من صديقتها- إيران وإسرائيل - في صراع مفتوح، وبالتالي فهي تبقى حريصة على أن تحقق الضربات الإسرائيلية مصالح تل أبيب في المنطقة الحدودية بدون أن يشكل ذلك خطراً على قدرات النظام السوري العسكرية، وبدون أن يدفع ذلك إيران إلى نقطة اللاعودة في المواجهة مع تل أبيب. وهذا التوازن بذلت روسيا وستبذل من أجله، الكثير مستقبلاً، على ما يبدو. ففي عام ٢٠١٤ ومع اقتراب نظام الرئيس الأسد من نقطة الخطرتحت وطأة تقدم قوى المعارضة والإرهاب السورية المسلحة نحو العاصمة دمشق، تدفق الآلاف من عناصر رجال المقاومة المدعومة من إيران على سوريا لحمايتها لتغيير قواعد اللعبة الأميركية الإسرائيلية الرجعية العربية الساعية لإسقاط كل أشكال المقاومة لمشروع كوندوليسا رايس حول الشرق الأوسط الجديد المقسم والمجزأً إتنياً ومذهبياً لصالح أمن الاحتلال الإسرائيلي وسائر المصالح الأميركية في الهيمنة الاستراتيجية على الطاقة والممرات المائية. وفي هذا المجال أوضح البروفسور غونتر ماير، أستاذ الجغرافيا في جامعة ماينز الألمانية والخبير في شؤون الشرق الأوسط، أن الحديث بات يدور عما يسمّى "الهلال الخصيب الأمريكي، والذي يشمل شمال شرق سوريا بأكمله ويمتد حتى الأردن، والذي يهدف إلى إقامة مظلة حماية بوجه إيران".

في الختام ، وحول آخر التطورات الميدانية، تقول وسائل إعلام إسرائيلية إن لقاءات دبلوماسية بين "إسرائيل" وروسيا أسفرت عن اتفاق بين الجانبين، يقضي بالسماح للجيش السوري باستعادة السيطرة على حدوده الجنوبية مع الأراضي التي تحتلها "إسرائيل شريطة عدم اصطحاب أي قوات إيرانية أو تابعة لحزب الله وأقوى المقاومة الأخرى، مضيفاً أن "إسرائيل ستحافظ على حرية تصرفها داخل سوريا".

وقالت القناة العاشرة الإسرائيلية إن النظام السوري وافق على هذا الاتفاق الذي توصلت إليه إسرائيل وروسيا، وذلك بعد التصعيد العسكري بين "إسرائيل" وإيران في سوريا. إلا أن ديوان رئاسة الوزراء الإسرائيلية، من جهته، نفى ما شاع حول اتفاق روسي إسرائيلي يمنع قوات حزب الله وإيران من الاقتراب من خط وقف إطلاق النار في الجولان. وقالت رئاسة الوزراء الإسرائيلية إن تل أبيب غير معنية بأي اتفاقات جزئية، وموقفها واضح برفض أي وجود إيراني عسكري فوق الأراضي السورية، وأنها ستواصل تحركاتها على كافة المستويات والأدوات لتحقيق هذا الهدف.

"إسرائيل" من ناحيتها تأمل بأن يؤدي انتشار الجيش السوري النظامي على خط وقف إطلاق النار إلى عودة الهدوء للمنطقة وتقليل حدة التوتر. ومن هنا جاء العرض الإسرائيلي بالموافقة بعد إشارات لاستعداد الجيش السوري لإعادة السيطرة على المنطقة الجنوبية من البلاد بعد أن أنهى سيطرته على ريف دمشق. وتداولت وسائل إعلام إسرائيلية أنباء عن أن روسيا طلبت من إيران سحب قواتها من الحدود السورية الإسرائيلية. وقال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف إن قوات النظام السوري "هي الوحيدة التي يجب أن تتواجد على حدود سوريا مع إسرائيل". وأعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية بهرام قاسمي أن بلاده باقية في سوريا طالما استمر خطر الإرهاب، وطالما بقيت الحكومة السورية تطلب المساعدة من إيران.

٨ - المواجهة بين نتنياهو وبوتين:

أعلنت وزارة الدفاع الروسية أن طائرتين إسرائيليتين من نوع "F-15" نفذتا غارة جوية على مطار "تيفور" من الأجواء اللبنانية. وتحديث تقارير إعلامية عن تحليق الطيران الحربي الإسرائيلي في أجواء لبنان أثناء تعرض المطار السوري للقصف.

في السنوات الأخيرة التقى نتنياهو وبوتين ٧ مرات إلى جانب تبادل الزيارات الرسمية للبلدين، فيما تعززت الاتصالات الهاتفية والتواصل والتنسيق بالمواقف بينهما بالشأن السوري حتى بعد الضربات على سورية والتي نُسبت إلى "إسرائيل". وعزا نتنياهو تطوير وتعزيز العلاقات مع بوتين إلى خلق آليات وقناة اتصالات توضح

وتحدد المواقف الإسرائيلية ورؤيتها المستقبلية وكذلك تنسيق وتحديد التوقعات ووضع إستراتيجيات مشتركة تضمن حرية العمل والنشاط والمصالح الإسرائيلية في المنطقة. والارجح أن هذه السياسات والعلاقات السائدة بين البلدين وبرغم التوتر، تشير إلى التقاء المصالح بين موسكو وتل أبيب في سورية والمنطقة، وهو الأمر الذي يعزّزه التنسيق المكثف والمتواصل، وتتساءل، لولا هذه العلاقات وهذا التنسيق كيف كانت ستطور الأمور الميدانية في ظلّ تصاعد التوتر على خط وقف إطلاق النار؟. وهو السؤال الذي يطرحه غالباً من لديهم إطلاع واختصاص بجوهر العلاقات بين الجانبين، إذ تأتي هذه "العلاقات الساخنة" حتى عندما توجه روسيا انتقادات علنية لـ "إسرائيل" أو حتى عندما تسمح موسكو بالتموضع الإيراني وتعزيز نفوذ طهران بسورية.

المستوى الثاني الذي يشرف على العلاقات بين البلدين، يركزه مستشار الأمن القومي، مائير بن شابات، الذي يدأب على تحصين وتدعيم هذه العلاقات، وليس صدفة أن يقوم بإجراء اتصالات ومفاوضات مع مسؤولين من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والتنسيق قبيل شن الهجوم الثلاثي على سورية. ولتعزيز علاقاته بروسيا، يستعين ننتياهو بالوزير زئيف إيلكن الذي غالباً ما يرافقه في الزيارات التي تجمعهم ببوتين، كما أن وزير الأمن الإسرائيلي، أفيغدور ليبرمان، هو الآخر يوظف علاقاته في الكرملين لتدعيم العلاقات الإسرائيلية الروسية، فيما تبقى وزارة الخارجية الإسرائيلية على هامش هذه العلاقات والاتصالات على الرغم من أن مدير عام الوزارة يوفال روتم يعتبر المؤتمر على إسرار ننتياهو الذي يتم اطلاعه كما السفير الإسرائيلي في موسكو على كواليس العلاقات وتقاطع المصالح مع موسكو بسورية. وترى قيادات عسكرية وأمنية في تل أبيب، "أنّ التقاء المصالح بين إسرائيل، وكل من روسيا ونظام الرئيس بشار الأسد، يوفّر بيئة تسمح بطرد إيران من سورية".

من الواضح أن موسكو ترغب في تحقيق الاستقرار في سوريا، بما يمكّن نظام الرئيس الأسد من إعلان النصر. وتعدّ إيران حليفاً رئيساً على الأرض لتحقيق هذا الهدف. لكن الصراع الإقليمي بين "إسرائيل" وإيران يتفاعل في الأفق بقوة. وبعدها قررت موسكو منح "إسرائيل" على ما يبدو حرية الحركة في الأجواء السورية، فإنها قد تجد محفزات أقل لدعم طهران.

إن عدم إدانة روسيا، وهي أكبر حليف لسوريا، للضربات الإسرائيلية بشكل واضح، ترجمه البعض باعتباره موافقة بشكل ما على ما حدث. وجاء تصريح ليبرمان في مؤتمر أمني عُقد بالقرب من تل أبيب، وقال فيه إنه يأمل أن تكون رسالة "إسرائيل" قد وصلت إلى الجميع، مضيفاً أنه يأمل أن تكون أحدث جولة من العنف مع إيران على الحدود السورية قد انتهت، على حدّ تعبيره، خاتماً بأن "إسرائيل لا تريد تصعيد الوضع".

وعن موقف روسيا مما حدث، خرج من وزارة الخارجية الروسية بيان بارد عبّرت فيه موسكو "عن قلقها إزاء تصاعد التوتر بين طهران وتل أبيب"، داعية جميع الأطراف "إلى ضبط النفس". واكتفى نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف بالقول إن ما حدث "أمر مقلق للغاية، ويجب العمل على إزالة التوتر". مضيفاً "نحن على اتصال مستمر مع كافة الأطراف". كما حثّ الكرملن الطرفين على ضبط النفس و"تهدئة التوترات بالوسائل الدبلوماسية فقط".

٩ - خاتمة:

يشكل الموقع الجيوستراتيجي لسوريا ميداناً حساساً لعلاقات دولية وإقليمية متضاربة خاصة مع وجود الكيان الصهيوني والمخزونات الهائلة من الغاز والنفط في البر والبحر ومع وجود أطماع لا تنتهي في الجغرافيا والسياسات والاستراتيجيات العدوانية التي تتبناها اميركا بزعامة ترامب الغوغائية الهوجاء والطامحة إلى بسط السيطرة الأميركية الكاملة على العالم، وسياسات ننتياهو العنصرية المنتشرة بأوهام الدين والرؤى التوراتية المزيفة الممتدة من الفرات إلى النيل.

في هذا البحث تناولنا أبرز الإشكاليات المرتبطة بإشكاليات العلاقات الروسية الإسرائيلية المتبادلة وامتداداتها الأميركية والدولية على أمل أن يكون قد شكّل ذلك فائدة للباحثين والمهتمين من أبناء الأمة الذين يشعرون بالمسؤولية والأمانة أمام الله عز وجل والأمة والتاريخ.